بلاغة القصّـــة في القــرآن الكـريـــم

قصة موسى عليه السلام من سورة القصص: أنموذجاً

أ. الزروق عبد الحميد علي *

المبحث الأول: ماهيّة القصّة

أولاً: التعريف بالقصة:

أثار القرآن الكريم في أساليبه الرسالية أكثر من أسلوب من أجل الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره، وما يفكر فيه من قضايا العقيدة والحياة؛ حتى يصل إلى الطريق الصحيح الذي يربطه بالله سبحانه وتعالى في أجواء رائعة تتحول فيها العقيدة إلى قضايا تمتزج بالإحساس والشعور، وتدخل فيها المشاعر الروحية في أجواء فكرية، فكانت القصة من بين الطرق التي سلكها القرآن في هذا السبيل، ولذلك يثبت لها ما يثبت لجميعه من إعجاز آياتها المشتملة على أسلوب القرآن التصويري المعجز في وحدة فنية رائعة(1).

وقد أوضح الإمام الفخر الرازي معنى القصص في القرآن فقال: " **القصص هو**: مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلي الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"(2).

ولا شك في أن القصة فن من فنون الأدب الجليلة الرفيعة التي تروح عن النفس باللهو، وتثقف العقل بالحكمة، وتعكس التغيرات اللغوية والاجتماعية والسياسية لعصر من العصور(3)، فهي:((فن قولي درامي، يسعى إلى خلق عالم إبداعي موازٍ في علاقاته للعالم الواقعي الذي يعيشه القصاص من خلال تجارب الفكر، أو تجارب العاطفة أو تجارب الخيال))(4).

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

ومن هنا نعلم أن القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص من حيث الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها، العظة والعبرة، بخلاف غيره فإن له أهدافا أخرى كاستجلاب المتعة فقط، وأما اختلافه من حيث العناصر فإنه قد يهمل تعلقها بالغرض المساق، ويخالف غيره أيضا من حيث عزوفه عن الإغراق في الأخيلة التي يسبح فيها القصاصون، لاستغنائه عن جميع ما ذكر بالروعة البيانية الصادقة المكتسبة من الواقع والحقيقة المطلقة التي لا مجال فيها لشك(5)،قال تعالى: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾**(6).

ثانياً: أغراض القصص القرآني:

إن أغراض القصص في القرآن لا تخرج في مجموعها عن الهدف الذي من أجله أنزل القرآن وهو هداية الناس وإرشادهم إلى الحق والطريق المستقيم... (7).

وفيما يلي بيان لأهم أغراض القصص القرآني مستنبطة من الآيات القرآنية الكريمة:

1. إثبات الوحي والرسالة:

وذلك بإثبات رسالة محمد ص، لأن هذه القصص إخبار بالغيب وخاصة بالنسبة إلى رسولنا الكريم؛ لأنه كان لا يقرأ ولا يكتب ولم يتصل بعلماء أهل الكتاب، ومع هذا فقد جاء بما عندهم من أخبار الأوائل وصححها وزاد عليها(8). قال تعالى: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(9).

2. الدعوة إلى الصبر والثقة في الله:

لأنه إذا عرض الله سبحانه وتعالى على الرسول الكريم سيرة أصحاب الدعوات وما واجهوه من تحديات وصعوبات وما صادفهم من أزمات انكشف وانزاح همه وغمه وثبت على دعواه... ويتجلى هذا الهدف في القرآن(10)، قال تعالى:**﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ**

مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(11).

3. التوجيه والإرشاد:

هو من أبرز أهداف القصص القرآني الذي جاء بتثبيت دعوة الله سبحانه وتعالى، ونشر المبادئ السامية والأخلاق العالية، وإبعاد الناس عن العادات السيئة والآراء الباطلة(12). قال تعالى:**﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**(13).

4. الترغيب والترهيب:

فالإنذار والتخويف في القصص القرآني له معنى تهذيبي يهدي به الله عز وجل عباده إلى الطريق الصحيح(14).قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**(15).

5. إبراز وحدة الدعوة بين الأنبياء:

إن المدقق في القصص القرآني بقلب عامر بالإيمان، وإعمال سليم للعقل يلحظ أن من أهم أهداف هذه القصص إبراز حقيقة دعوة الرسل والأنبياء جميعاً – عليهم صلوات الله وسلامه – الذين جاءوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تتابع الأجيال، كلمة واحدة هي: ((لا إله إلاّ الله)) وقضية واحدة وهي: ((أعبدوا الله مالكم من إله غيره))(16).

6. وحدة المعارضة:

هو هدف لا تقل أهميته عن قضية الرسالة ووحدة الرسل، حيث أبرز موقف الجاهليين من رسلهم الذين أرسلوا إليهم، فجاءت هذه القصص مبينة لصدّهم وتحديهم للقرآن، وإن اختلفت فيها الشخصيات واللغات والزمان والمكان(17)، قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ**

مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(18).

7. مؤازرة النبي وإمداده بالمعجزات:

ويضاف إلى أهداف القصص القرآني تأييد محمد– صلى الله عليه وسلم – فيما اصطفاه الله له من الرسالة، ولهذا التأييد هدف التثبت والتسرية، فالتثبيت هدف يتجلى في تحمل الشدائد والصبر على المكاره، والتأييد يتصل بالتحدي بالغيب، والإعجاز بمعرفة تفاصيل لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى، فهو يوحي بها إلى من يصطفيه من عباده(19)، قال عز وجل:**﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**(20).

8. بيان الأصل المشترك:

يكمن ذلك بين دين "محمد" ودين "إبراهيم" بصفة خاصة ، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة و بين جميع الرسالات الأخرى، فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى(21)، قال تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾**(22).

9. بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه:

يعتبر هذا الهدف من أجلّ الأهداف السامية التي أوضحتها القصة في القرآن، وتظهر هذه النعمة في العديد من قصص الرسل ، كقصص إبراهيم وموسى وعيسى وزكرياء وسليمان ويونس ، فمن بيان نعمة الله على رسله وتقديـــراً لحياتهم قوله تعالى في سيدنا إبراهيم(23): **﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**(24).

10.الدعـوة إلى التفكر وإعمال العقل:

من أهداف القصص القرآني تحريض المسلمين على إيقاظ عقولهم كي يفكروا ويستنبطوا ويخرجوا من دائرة الخمول ويحققوا العزة للإسلام، فكل ما يقص من أخبار القرآن يفتح عليهم أبواباً واسعة من المعرفة والاطلاع على تجارب الأمم السابقة، فيميزون أسباب الخير على الشر والتعمير على التخريب بالاعتماد على الله أولاً، وعلى أنفسهم ثانياً، فتتحقق عظمتهم وتهابهم الأمم وتخشى سلطانهم(25)، قال تعالى: **﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(26).

11. التحذير من الغواية واتباع الشيطان:

وهذا الغرض يرمى إلى التنبيه من غواية الشيطان، وإظهار العداوة الخالدة بين أبناء آدم وبينه، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، والدعوة إلى الحذر الشديد من أي هاجس في النفس يدعو إلى الشر، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير(27).

12. التربية والتهذيب:

قصص القرآن متناسق في منهجه التربوي مع منهج القرآن، وذلك أن القرآن بقصصه وتوجيهاته التشريعية وحدة متناسقة وإن تنوعت طرقه في التبليغ والتعليم، وتجديد نشاط النفس يتجدد بانتقاله في السورة الواحدة من غرض إلى آخر، ففي قصص القرآن تربية دينية لها أثر عميق في النفوس تؤكد أن موازين القيم والأخلاق مرتبطة بميزان الله، فلا إصلاح بغير عقيدة، ولا تربية بدون إيمان، فتجعل الكون معرضاً رائعاً تتجلى فيه حقيقة الألوهية بآثارها وتملأ جوانب الإنسانية بآياتها(28)، قال تعالى: **﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَاإِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾**(29)، ومن ذلك نعلم أن القصة في القرآن تهدف إلى تعليم الأدب في الحوار وتصوير الذوق والرقة والتلطف والعطف والتسامح، ولقد تجلى هذا المعنى واضحاً في قصة موسى إذ أرسله الله

سبحانه وأخاه هارون إلى فرعون(30)، قال تعالى:﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾(31).

ثالثاً: مميزات القصة القرآنية:

يمتاز القصص القرآني بالصدق ومطابقة الواقع، فكل شيء فيه له وجود ذاتي وصفات حقيقية تقوم به، فهو ليس من الخيال أو المبالغة ، وله عدة مميزات لا توجد في غيره من القصص الأخرى(32). **فهو يمتاز بأنه:**

1. يهدف إلى العظة والعبرة لأخذ القدوة من الأنبياء وإتباع الصالحين.
2. يعتمد على الأحداث والمواقف التي تحصل بين الناس، أما الشخصيات فإنما تجيئ تباعاً.
3. يأتي من خالص وقائع الحياة المعاشة ولا محل فيه لوهم أو خيال أو مبالغة.
4. يشتمل على أسلوب الإثارة والتشويق للعواطف النبيلة مع التزام الحق والصدق.
5. يشتمل على خوارق العادات المستمدة من واقع حياة الأنبياء عليهم السلام.

وبهذا أكدت لنا هذه المميزات أن لا قدرة تفوق عظمة الله في قصصه القرآنية التي لا مثيل لها فهي معتمدة على الحقائق الثابتة في أسلوب رصين محكم يخلو من الخيال ويحقق الإثارة والتشويق ويحرك الوجدان ليصل بالمخاطب إلى ما يريد(33).

المبحث الثاني: بلاغة النظم القرآني وتحدّيه للفصحاء

أولاً: بلاغة النظم القرآني

النظم في اللغة: التأليف، فتقول نظمه ينظمه نظما، ونظمه فانتظم وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته، ومنه نظمت الشعر، والنظّام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظامٌ وجمعه نُظُمٌ(34). **وفي الاصطلاح:** تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل(35).

فالكلام المنظوم يحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد من معناه وضوحاً وشرحاً، فإن ألبس الكلام بسوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب وكان المعنى سبياً، ورصف الكلام ردياً، لم يوجد له قبول ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطاً ورصف الكلام جيداً، كان أحسن موقعاً وأطيب مستمعاً.

وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في موضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى، فإن غطي بسوءه وتقدم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغيرت صيغتها وخالفت الاستعمال في نظمها فسد الكلام واختل المعنى.

قال العتابي(36):((الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما نراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخراً، أو أخرت منها مقدماً أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لوحُول رأس إلى موضع يدٍ، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الحلقة، وتغيرت الحلية، وقد أحسن في هذا التمثيل وأعلم به على أن الذي ينبغي في صيغة الكلام وضع كل شيء منه في موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم)) (37).

ومن المعلوم أن كلام الله مغاير لجميع الكلام المنظوم، ففيه إعجاز جعل العلماء يعتقدون أن سببه خصائص امتاز بها أسلوب القرآن الكريم فجعلوا منه محوراً للبحث والتنقيب، وقد تمت دراسة الاتجاه الفني لهذا الأسلوب المعجز من ناحيتين:

1. ناحية بلاغة العبارة التي تتمثل في اقتطاع موضع البلاغة، بعزل الأساليب التي تعد حاملة لها، فتقضي إلى أن إعجاز القرآن يمكن حصر أسبابه في بلاغة العبارة.

2. ناحية بلاغة النظم التي تعتمد على وحدة النص، والتحام أجزائه حيث تقتصر البلاغة على ذلك(38).

وقد جهد الكثير من العلماء في مسألة النظم وكان لكل منهم رأيه وبحثه و جهده الذي أوضح من خلاله معنى النظم، وقد قامت العديد من الدراسات في آيات الله عز وجل التي كانت توضح بلاغة النظم والإعجاز الموجود فيها،ومنها قوله تعالى: **﴿وَقِيلَ يَا**

أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(39)،فحلل الجرجاني مواطن الإعجاز في نظم الآية قائلاً: ((عن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت، ثم أن كان النداء بـ "يا" دون "أي" نحو: "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف" دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم أن اتبع نداء الأرض، وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء، وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: "وغيض الماء" فجاء بالفعل على صيغة "فُعل"، الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: **﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾**، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بـ "قيل" في الفاتحة))(40).

وقد اختلف العلماء في معنى النظم حيث تحدث فيه الجاحظ والزمخشري(41) والجرجاني وغيرهم، فدلالة النظم عند الجاحظ " لا تعني النوع الأدبي من قبيل الشعر أو الخطب أو الرسائل، ولا تعني كذلك التأليف، أو الضم ، وإنما هي دلالة متكونة من المعنيين. فحين يكون القرآن نوعاً من الكلام متميزاً، فلا شك في أن في أسلوبه خصائص بلاغية، تخرجه عن خصائص كلام البشر. دليل ذلك أنّا نجد عنده نصوصاً متفرقة تؤيدنا في ذلك، منها قوله في القرآن الكريم:((إنه تحدي البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه في المواضع الكثيرة، والمحافل العظيمة، فلم يرم ذلك أحد، ولا تكلفه، ولا أتى ببعضه، ولا شبيه منه، ولا ادعى أنه قد فعل))(42) "فنظمه وتأليفه" ليسا مترادفين، وإنما هما كلمتان مختلفتان في الدلالة. فالأولى تعني النوع والثانية الضم.

أما الخطابي(43) فقد أدار بحثه في بلاغة القرآن على غير الوجه الذي أداره عليه من سبقه فلم يتكلم في التشبيه، ولا في الاستعارة، ولا في التقديم والتأخير، ولا في فنون البديع، وغير ذلك مما ألف الناس الخوض فيه حين يتكلمون في الإعجاز البلاغي؛

وذلك لأن هذه من سائر البلاغات، وقد حاول الخطابي أن يقع على البلاغة القرآنية التي هي كخلق الإنسان وبسط الأرض، ووجدنا أنه أرجع وجه إدراكها إلى العقل، واتخذ له من البحث عن باطن العلة في النص المعجز سبباً(44).

وعند الجبائي(45):((هو المعول عليه في الفصاحة ، وأنه يدور في مجالات ثلاث: اختيار الكلمة، واختيار الوظيفة التي تؤديها في مجتمع الكلمات ، واختيار المكان المناسب لها لتقوم فيه بأداء وظيفتها على أتم وجه وأحسنه)).(46)

وعند الجرجاني(47) دلالة مختلفة للنظم حيث قال: ((ثبت أن النظم مكان الإعجاز الذي ينبغي أن يكون فيه، وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف، وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وأنّا – إن بقينا الدهر نجهد حتى نعلم للكلم المفردة سلكاً ينظمها، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض، غير توخي معاني النحو وأحكامها فيها – طلبنا ما كل محال دونه))(48).

ولكن الشيخ عبد القاهر انعطف في دراسته إلى نصوص البشر ولاسيما الشعر يتلمس فيه مواضع المزية، حيث أن تفسير الإعجاز بالنظم أو بيان بلاغة النظم القرآني المعجز يؤدي إلي التعرض إلي ذات الله سبحانه وتعالى، وإلى محاولة الكشف عن قدراته العقلية؛ لأنه سبحانه وتعالى المتكلم أو المنشئ للنص المعجز، ولهذا انعطف هذا المنعطف(49).

أما الزمخشري(50): فهو يأخذ الطريق الذي سار فيه المفسرون من قبله، وهو شرح مفردات القرآن، أو إعرابه، أو استخلاص الأحكام الشرعية منه، أو بيان أسباب النزول، أو التعريف بالناسخ والمنسوخ وغير ذلك من مذاهب المفسرين، ولكنه كان يتطلع إلى ما عسى أن ينكشف له من إعجاز النظم القرآني و أسراره في المفردات والتركيب على السواء، وهو الوجه الذي سعى إليه الجرجاني سعياً ولكنه لم يطبقه على القرآن الكريم تطبيق الزمخشري(51).

وبلاغة النظم عند ابن الزملكاني(52)تسير على خُطى عبد القاهر وتنتهج منهجه في الإعجاز البلاغي ولاسيما في بلاغة النظم المعجز. حيث قال: ((قد توصف الكلمة بالفصاحة بالنظر إلى كونها أكثر استعمالاً من غيرها، كما قالوا في (نمى المال ينمي) أنه أفصح من (نما ينمو)، وإن الثاني أدخل في القياس لكنه أقل في الأسلوب، وليس هذا متعلق غرضنا في هذا العلم، بل المراد هنا بالفصاحة مراعاة أحوال المفردات ومعاني النمو في التأليف))(53).

وبهذا انتهى العلماء الباحثون في اختيار ألفاظ القرآن الكريم إلى أنه الإعجاز، من حيث اشتمال ألفاظه على نهايات الحسن والكمال، وبهذاوجب أن تكون ألفاظه عربية، غير معربة، وتكون مألوفة مسموعة ومستعملة، وألا تكون شاذة نادرة، وأن تكون خفيفة على الأسماع، سلسة سهلة عند النطق بها، وأن كلام الله سبحانه حائز لهذه الخصال، متميز بها عن سائر الكلام، في جميع ألفاظه، فلا يوجد فيه شيء من هذه الأمور(54).

ثانياً: تحدي القرآن للعرب وبيان عجزهم:

تحدى النبي– صلى الله عليه وسلم–بالقرآن الكريم العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، وقد تكلم عن هذا الكثير من العلماء،ومنهم الجاحظ(55)، حيث قال: ((ولابد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع وكيف صار ونظمه من أعظم البرهان، وتأليفه من أكبر الحجج))(56).

وكذلك الباقلاني(57)في كتابه فتح الباري، فقال: ((ويمكن نظم القولين في كلام واحد فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾**(58)،فلولا أن سماعه حجة عليه لم

يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾فأخبر أن الكتاب آية من آياته كافٍ في الدلالة قائم مقام المعجزات غيره من سواه وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا))(59).

كما قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَدِقِينَ**﴾(60)، فتحدّاهم تعالى أن يأتوا بالقرآن كله ، فما استطاعوا ثم قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ**﴾(61)، فعندما كبلهم العجز عن هذا، فلم يفعلوا ما تحداهم به، ثم جاءهم بتخفيف التحدي، فتحداهم بعشر سور، فما استطاعوا ثم أرخى لهم حبل التحدي، ووسع لهم غاية التوسعة فتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة، أي سورة ولو من قصار السور. في قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**﴾(62)، ولكنهم لم يستطيعوا.

وهناك الكثير من الملاحدة والزنادقة من حاول تقليد القرآن– بزعمه – ولكن كبته الله وأخزاه وحقّره. ومنهم: ابن كنده، الذي أغلق على نفسه باب بيته؛ ليخرج بقرآن أو بسورة من القرآن مقلدة، فلما فتح المصحف وقعت عينه على قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾(63)، فتعجب وقال: أمر ونهى، ونادى واستثنى، وبيّن وختم في آية واحدة، فأتى ليرفع يده فوجدها قد شلّت ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ**﴾(64).

وزعم المعتزلة أن التحدي هو: أن الله سلب استطاعتهم وصرفهم عن مثل القرآن، وهذا كذب على الله، بل أنه تعالى تركهم أحراراً يستطيعون أن يؤلفوا الكلام

ويركبوا الحروف، ولكنهم على الرغم من ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، إذا فالقرآن أعجز البلغاء وأفحم الفصحاء، فلم يبلغوا مداه، ولم يقربوا حماه، فسبحان من أنزله على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وما دام أنهم عجزوا عن التحدي فالأولى أن يتجنبوا النار بالإسلام والإيمان الذي بينه الله لهم في كتابه المعجز(65).

المبحث الثالث: "الأنموذج"

قصة النبي موسى– عليه السلام– وفرعون/ من سورة القصص

يتناول في هذا المبحث أنموذجاً من القصص القرآني، وهو ما ورد في سورة القصص، المتمثلة في قصة سيدنا موسى – عليه السلام– وفرعون، حيث يَتعرَّض لما ورد فيها من أساليب بلاغية، وصور بيانية وجوانب لغوية، لتوضيح الإعجاز الكامن فيها، والوصول إلي مزية القصة القرآنية وبلاغتها عن غيرها وأثرها في النفس المؤمنة، وذلك ابتداءً من قوله تعالى: **﴿طَسم تِلْكَ ءايَتُ الْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾** إلى قوله تعالى:**﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾**، على أن يتم تقسيم الآيات المراد دراستها بعون الله– إلى أربعة أقسام، فيكون الأول منها إلى قوله تعالى: **﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾**، وثانيها إلى قوله: **﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**، وثالثها إلى قوله: **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾**، ورابعها إلى قوله: **﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾**، والباقي سُرِد سرداً دون التعرّض لتحليليه؛ استكمالاً للنص القرآني، وحتى يتسنى بعد توفيق الله الوقوف على مكمن الجمال في القصص القرآني وبلاغة تعبيره وجمال إعجازه.

أولاً: الآيات من سورة القصص:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طَسِمِ (1) تِلْكَ ءايَتُ الْكِتَبِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(3)..... الآيات حتى قوله تعالى: فَأَخَذْنَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)﴾. القصص (1...40).

ثانياً: تسمية السورة:

سميت هذه السورة بسورة القصص، وسبب تسميتها بذلك وقوع لفظة " القصص" فيها عند قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ**﴾(66)، فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى الذي قصه على شعيب – عليهما السلام– فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها.

وهي مكيّة في قول جمهور التابعين إلا من الآية الثانية و الخمسين إلى الآية الخامسة والخمسين، وفيها آية ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَاد**﴾ قيل نزلت على النبي –صلى الله عليه وسلم– في الجُحْفَة(67) في طريقه إلي المدينة للهجرة، تسلية له على مفارقة بلده، وهي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة العنكبوت، فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف، وهي متماثلة ثلاثتها في الافتتاح بذكر موسى – عليه السلام–، ومجمل آياتها ثمان وثمانون آية(68).

ثالثاً: أغراضها:

من أغراضها:

1. أنها اشتملت على التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون على الإتيان بسورة مثله.

2. جاءت مفصلة لما أجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى:﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا**﴾(69)، إلى قوله: ﴿**وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾(70)، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون، وتفصيل ما أجمل في سورة النمل، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**﴾(71)، ففصّلت كيف سار موسى وأهله، وأين آنس النار، ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي وغيرها من الأحداث، وهذا التفصيل فيه زيادة للمواعظ والعبر.

3. فيها بيان لسبب زوال ملك فرعون.

وما سيق في تلك القصة ما هو إلا للعبرة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ومعاملة الأمم المكذبة لرسلها وتحدي المشركين عن ذلك(72).

رابعاً: دراسة بلاغية بيانية لغـوية موجزة لبعض الآيات:

قال تعالى بعد البسملة لأول السورة: **﴿طَسِمِ (1) تِلْكَ ءايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾**(73).

(طسم): الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن الكريم، والإشارة إلى أن هذا كتاب معجز في فصاحته وبيانه، مركب من أمثال هذه الحروف الهجائية(74)، وقد تعددت معاني هذه الحروف ولكن معناها الحقيقي والمراد منها لا يعلمه إلا الله عز وجل(75).

[شيعاً]: فرقاً وأصنافاً يطيعونه(76) كما جاء في قول الأعشى:

وبلدة يرهب الجوب دلجتها ﴿ حتى تراه عليها يبتغي الشيعا(77)

[يستحي]: يبقيهن على قيد الحياة(78).

[نمنّ]: نتفضل وننعم(79).

[ونجعلهم أئمة]: قادة في الخير أو ملوكاً(80).

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن طغيان فرعون، وعلوه وفساده في الأرض وتجبره، الذي أذاق بني إسرائيل سوء العذاب، فذبّح الأبناء خوفاً على زوال ملكه، واستحيا النساء(81)، ثم ذكر الله بصيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية بتفضله على الذين استضعفوا في الأرض بإنجائهم من بأس فرعون ووزيره وطغيانهما(82).

﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلّق بحال من فاعل نتلو أو من مفعوله، والمصدر المؤول من ﴿أَن نَّمُنَّ﴾ في محلّ نصب مفعول به عامله نريد وجملة ﴿نَتْلُوا...﴾ لا محل لها من الإعراب استئناف بياني(83). ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه، ثم استعير للتسلط وإطلاق الأمر(84).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ..... الآيات حتى: أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(85).

[وأوحينا]: أي ألهمناها الذي صنعت بموسى.

[اليم]: هو بحر النيل(86).

ثم انتقل تعالى إلى الحديث عن ولادة موسى وخوف أمه عليه من بطش فرعون، وإلهامه لها بإلقائه في اليم(87)، وبشرها بأنه سيرده إليها، ليطمئن قلبها ويسكن روعها، والتقاط آل فرعون له، فألقى الله حبه على قلب آسيا –زوجة فرعون–فقالت له لا تقتلوه فإن الله أتى به من أرض بعيدة وليس من بني إسرائيل لعله يكون قرة عين لي ولك(88)، وجملة ﴿يَحْذَرُونَ... ﴾ في محل نصب خبر كانوا(89).

وفي الآية ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى..﴾ إسناد مجازي، حيث أسندت التلاوة إلى الله وهو الذي يأمر بتلاوة ما يوحى إلى رسوله الكريم، والذي يتلو حقيقة هو جبريل بأمر منه تعالى، وعبر عن هذا الخبر بالنبأ لإفادة أنه خبر ذو شأن وأهمية(90). ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ..﴾ صُورت عظمة فرعون في الدنيا بقوله تعالى:﴿عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ ليكون العبرة بهلاكه بعد ذلك العلو، أكبر العبر فالعلوّ هنا مستعار لمعنى التفوّق على غيره، وأطلقت لفظة ﴿شِيَعًا﴾ على فرقة من الناس على سبيل التوسع بعلاقة الإطلاق عن التقييد.

وفي قوله:﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أسند الذبح إلى فرعون، وليس هو الفاعل الحقيقي، بل جنوده، وإسنادها إليه مجاز عقلي علاقة سببية، و﴿الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ غاية إظهار الذين استضعفوا دون إيراد ضمير الطائفة للتنبيه على ما في

الصلة من التعليل فإن الله رحيم بعباده، وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً(91).

في قوله ﴿**أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ أن تفسيرية؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون مصدرية(92)، وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب تفسيرية، وجملة ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ...**﴾ لا محل لها من الإعراب تعليل للنهي المتقدم، والمصدر المؤول من ﴿**أَن يَكُونَ..**﴾في محل جر باللام متعلق بـ ﴿**الْتَقَطَهُ**﴾ وجملة: ﴿**الْتَقَطَهُ آلُ..**﴾ لا محل لها من الإعراب معطوفة على استئناف مقدر أي: فوضعته في التابوت وألقته في اليم فقذفه الموج إلى الساحل فالتقطه آل فرعون.

والمصدر المؤول﴿**أَن يَنفَعَنَا**﴾في محل رفع فاعل عسى، وجملة ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ في محل نصب حال(93).

في قوله عز وجل: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾، جمع تعالى في آية واحدة خبرين، وأمرين، ونهيي، وبشارتين.

فالخبران هما:﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾ وقوله:﴿**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ**﴾؛ لأنه لا يشعر بأنها ستخاف عليه، والأمران هما: ﴿**أَرْضِعِيهِ**﴾ و﴿**أَلْقِيهِ**﴾ والنهيان: ﴿**وَلا تَخَافِي**﴾ و﴿**لا تَحْزَنِي**﴾، والبشارتان: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾.

وجملة ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ**﴾ في موقع العلة للنهيين؛ لأن ضمان ردّه إليها يقتضي أنه لا يهلك وأنها لا تشتاق إليه بطول المغيب(94)، وفيها إيثار الجملة الاسمية على الفعلية؛ لأنه لم يقل سنرده ونجعله رسولاً، وذلك للاعتناء بالبشارة؛ لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار(94).

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي**﴾ إطناب، وهذا من أجمل أقسام الأطناب، وهو أن يذكر الشيء فيؤتى به بمعان متداخلة ، إلا أن كل معنى مختص

بخاصية ليست للآخر ، فالخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع ، والحزن غم يلحقه لواقع ، وهو فراقه والأخطار المحدقة به، فنهيت عنها جميعاً ، وأمنت بالوحي إليها(95).

وفي قوله: **﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾**أسند الالتقاط إلى آل فرعون من باب المجاز، والملتقط الحقيقي هو إحدى النساء الحافات بابنته، وفي قوله: **﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾** استعمال اللام في **﴿لِيَكُونَ﴾** ورد على طريقة الاستعارة دون الحقيقة لظهور أنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدواً وحزناً ، ولكنهم التقطوه رأفة به وحباً له ، ولكن لما كانت عاقبة التقاطهم إياه أن كان لهم عدواً و حزناً فشُبهت العاقبة بالعلة في كونها نتيجة للفعل ، فاستعير لترتب العاقبة المشبهة للحرف الذي يدل على ترتب العلة تبعاً لاستعارة معنى الحرف إلى معنى آخر استعارة تبعية(96).

وفي قوله: **﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾** كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدها، وهو سُخنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن.

وضمير الجمع في قولها **﴿لاَ تَقْتُلُوهُ﴾** يجوز أن يراد به فرعون نزلته منزلة الجماعة على وجه التعظيم، وقيل: لا تقتلوه التفات عن خطاب فرعون إلى خطاب الموكلين بقتل أطفال إسرائيل(97).

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً..... الآيات حتى: **وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾**(98).

[فارغاً]: خالـياً.

[ربطنا على قبلها]: أي لولا أن ثبتناها و ألهمناها الصبر(99).

[قُصِّيهِ]: اتبعي أثره وتتبعي خبره.

[جنب]: مكان بعيد(100).

[المراضع]: جمع مرضع، وأما المرضعة فجمعها مرضعات ، وهي التي ترضع الطفل اللبن(101).

وحينما سمعت أم موسى بالتقاط آل فرعون لوليدها، أصبح فؤادها مليئاً بالخوف والإشفاق عليه ، فربط الله على قلبها وألهمها الصبر حتى تكون من المؤمنين،

فقالت لأخته اتبعي أثره، وانظري إلى أين وقع، وإلى من صار، فأبصرته عن بعد وهم لا يشعرون، وهذا من حذرها وانتباهها الشديدين، وبعد ذلك حرم الله عليه جميع المراضع وجعل بينه وبينها نفوراً، فدلتهم أخته على مطلبهم(102).

والمصدر المؤول من **﴿أَن رَّبَطْنَا﴾** في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي لــولا ربطنا.... موجود، والضمير في **﴿قُصّيهِ﴾** يعود على موسى، و **﴿عَن جُنُبٍ﴾** متعلق بحال من فبصرت.

وجملة **﴿هُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾** في محل نصب حال(103)، وفي الآية **﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان سبب رده إلى أمه، وجملة**﴿يَكْفُلُونَهُ﴾** في محل جر نعت لأهل البيت، وقيل في قوله تعالى: **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾** كناية عن فقدان العقل وطيش اللب، وذلك لما انتابها من فرط الجزع والدهش(104).، وقيل: الفراغ مجازي ومعنى فراغ العقل من أمر أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواءً مجازياً، أي عدم جولان معنى ذلك الأمر في العقل ، أي ترك التفكير فيه(105).

وفي قوله تعالى: **﴿لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾** استعارة حيث شبه ما قذف الله في قلبها من الصبر، بربط الشيء المنفلت خشية الضياع ، واستعارة لفظ الربط للصبر، أي لولا أن صبرناها على طريقة الاستعارة التمثيلية(106).

والاستعارة في قوله:**﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾** التحريم: استعارة للمنع؛ لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه عليه(107)، وفي قوله: **﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾** عرضت سعيها في ذلك بطريقة الاستفهام المستعمل في العرض تلطفاً مع آل فرعون، وإبعاداً للظنة عن نفسها، والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية في قوله: **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** قصد به تأكيد أن النصح من سجاياهم ومما ثبت لهم فلذلك لم

يقل: وينصحون له كما قيل **﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾**؛ لأن الكفالة أمر سهل بخلاف النصح العناية(108).

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ.... الآيات حتى: **إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾**(109).

[تقر عينها]: تسكن عينها برؤيته.

[بلغ أشده واستوى]: أي منتهى قوته وهو ما فوق الثلاثين وذلك يكون باعتدال عقله.

[فاستغاثه]: طلب أن يغيثه بالعون(110).

[فوكزه]: وهو الضرب والدفع، أي ضربه بجمع يده على ذقنه.

أوفى الله عز وجل بوعده إلى أم موسى وذلك برد وليدها إليها حيث منع عنه جميع المراضع، فذهبت إلى بيتها وقرت عينها بذلك، فلما كمل عقله واستوى ، وبلغ رشده آتاه الله النبوة، وبعد دخوله المدينة وجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل، فأعانه على الآخر وقضي عليه غير متعمد ، فندم وقال هذا من عمل الشيطان (111).**﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي﴾** (فكذلك) متعلق بمحذوف مفعول مطلق عامله نجزي، و **﴿عَلَى حِينِ﴾** حال من فاعل دخل، **﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾** متعلق بنعت لغفلة، وجملة **﴿يَقْتَتِلانِ﴾** في محل نصب نعت لرجلين، و **﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ﴾** في محل نصب حال من فاعل يقتتلان، أو لا محل لها من الإعراب استئناف بياني(112).

ويتعلق **﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾** بـ (دخل) و (على) للاستعلاء المجازي ، كما في قوله تعالى:**﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾**(113)، أي متمكنا من حيث غفلة، والإشارتان في قوله: **﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾** تفصيل لما أجمل في قوله:**﴿رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ﴾**. وفي الاستغاثة: طلب الغوث، ويكون هذا الطلب بالنداء فذكر الاستغاثة يؤذن بأن الإسرائيلي كان مغلوباً، وأن القبطي اشتد عليه ظلما.

وجملة **﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** مستأنفة استئنافاً بيانياً. كأن سائلاً سأل: ماذا كان من أمر موسى حين فوجئ بموت القبطي ؟ وحكاية ذلك للتنبيه على

أن موسى لم يخطر بباله حينئذ إلا النظر في العاقبة الدينية(114).، وتوافق الفواصل في كثير من الآيات مثل **﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾** و **﴿هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** و**﴿هُمُ لا يَعْلَمُونَ﴾**هو من المحسنات البديعية(115).

خامساً: بعض الفوائد من الآيات السابقة:

1. تناولت هذه القصة الكثير من العبرة والعظة التي تتجلى في صبر موسى وأمه وحكمة شعيب، ثم زُينت الآيات بالحديث عن الأخلاق وحسن المعاملة والوفاء بالعهد سواء أكان عهد موسى لله أم عهده لشعيب – عليه السلام.

2. جدة التعبير.

أ– < أصبح فؤاد أم موسى فارغاً >

ب –< لولا أن ربطنا على قلبها >

ج –< فبصرت به عن جنب >

هذه الأمثلة الثلاثة من التعبير القرآني، وغيرها الكثير في القرآن الكريم، تقدم لنا صورة واضحة من الإبداع والابتكار في الأسلوب العربي، مما لم يصل إليه، ولم يستطع أحد من قريب أو بعيد مداناته سواء أكان كاتباً أم شاعراً، وهذا يدلل على أنه تنزيل من رب العالمين، ليقدم صورة من الإعجاز للناس علّهم يؤمنون به، وما آمن أكثرهم!.

3– موسى:

ورد في تعريب كلمة (موسى) أن (مو) هي الماء و(سا) هي الشجر، وربما شبهوا (موسى) بالماء والشجر اللذين ينبتان في الأرض؛ لأنهم التقطوه من النهر، ولم يعلموا له أباً وأمّاً ، وإنما وجدوه بينهم، وهو موسى بن عمران.

4 – إحدى:

العدد واحد واثنان يوافقان المعدود، فيذكران مع المذكر، ويؤنثان مع المؤنث، ولكن ثمة فارق بين العددين، (فالواحد) تأنيثه بوجود الألف المقصورة (إحدى) وتذكيره

بحذف هذه الألف، قال تعالى: ﴿**أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**﴾(116)، أمّا (الاثنان) فتأنيثها بإلحاق التاء (اثنتان) وتذكيرهما بحذف التاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**﴾(117)، وقوله: ﴿**فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾(118).

5 – لفظة (خير):

ترد هذه اللفظة في الآية **ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير** اسماً صريحاً يطلق على كل شيء حسن، كما ترد اسم تفضيل، كما في كلامه تعالى على لسان إبليس ﴿**أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ**﴾(119)، أي أفضل.

6 – أيّما الأجلين:

تأتي أي هذه على خمسة أوجــه:

أ – أن تكون شرطاً نحو ﴿**أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ**﴾(120)، وقد تزاد (ما) المتصلة بعدها للتوكيد.

ب – أن تكون استفهامية ﴿**أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا**﴾(121).

ج – أن تكون موصولة ﴿**ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا**﴾(122).

د – أن تكون دالة على معنى الكمال، وتكون صفة للنكرة، نحو (زيدٌ رجل أيٌّ رجل) أي كامل لصفات الرجال، كما تكون حالاً من المعرفة، نحو (مررتُ بعبد الله أيَّ رجل)، قال أبو العتاهية(123)، قد وردت صفة.

إنّ الشباب والفراغ والجدة ﴿ مفسدة للمرء أي مفسدة

هـ – تكون وصلة لنداء ما فيه (أل) نحو (يأيها الرجل)(124).

والعبرة من سياق هذا الجزء من السورة المفتتحة بقوله تعالى: ﴿**طسم* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ هو ما تضمنته من طغيان فرعون وتجبره على رعيته ونشوء موسى في داره مع أنه سيكون عدوًا له، ومن ثمّ خروجه من المدينة بسبب قتله للقبطي، متوجهاً بهداية من الله إلى مدين، فهيأه تعالى

رسول من رسل الله وصاهرته، كما تضمنت الآيات من فضائل الأعمال، ومناقب أهل الكمال، وخصال المروءة والفتوة، التي استكنت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد والقناعة وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين، والعمل لهم والوفاء بالعقد، والثبات على العهد، حتى كان خاتمة ذلك تشريفــه– عليه السلام–بالرسالة (125).

والله أعلم...

الهوامـــــش

1. سعيد عطية مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن. قسم اللغة العربية، جامعة الأزهر، لدار الآفاق العربية: ط1، 2006م، ص35.
2. محمد بن عمر الرازي الشافعي(604 هـ)، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب". دار الكتب العلمية: بيروت/ لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، الجزء 8 من المجلد 4، ص74.
3. أحمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي (مزيدة ومنقحة). دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة/ القاهرة،ص293.
4. المصدر نفسه، ص 23.
5. عبدالله أحمد احميد، إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن.دار الكتب الوطنية: بنغازي،ط2، 1374هـ، 2006م، ص 323.
6. سورة الكهف، الآية 13.
7. ينظر إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، مبحث سابق، ص 324.
8. ينظر المصدر نفسه ، ص 325.
9. سورة هود، الآية 49.
10. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 121.
11. سورة هود، الآية 119.
12. ينظر إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، مرجع سابق، ص 325.
13. سورة العنكبوت، الآية 41.
14. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 122.
15. سورة الروم، الآية 9.
16. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 122.
17. ينظر المصدر نفسه، ص 124.
18. سورة الذاريات، الآيتان 52، 53.
19. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 126.
20. سورة النساء، الآية 113.
21. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 126.

22. سورة الأعلى، الآيتان 18، 19.
23. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 127.
24. سورة البقرة، الآية 129.
25. ينظر إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، مرجع سابق، ص 328
26. سورة الأعراف، من الآية 176.
27. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 128.
28. ينظر المصدر نفسه، ص 129.
29. سورة يونس، الآية 98.
30. ينظر الإعجاز القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص 131.
31. سورة طه، الآيتان، 42، 43.
32. ينظر إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، مرجع سابق، ص 333.
33. ينظر المصدر نفسه، ص 334.
34. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة "نظم". دار صادر: بيروت/ لبنان، ط1.
35. علي محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، التعريفات. دار الكتب العربي، بيروت: ط1، 1405هـ، ج1، ص 310.
36. هو أحمد بن محمد بن عمر العتابي البخاري، المتوفى سنة 586 هـ، عالم بالفقه والتفسير ، حنفي، من أهل بخارى ووفاته بها. من كتبه (جوامع الفقه، شرح الجامع الكبير، شرح الجامع الصغير.. وغيرها). الأعلام للزركلي، ج 1 / ص216.الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي(ت 1396 هـ)، الناشر: دار العلم للملايين:ط15، مايو 2002م.
37. أبو هلال العسكري(ت 395 هـ)، تحقيق وضبط النص: مفيد قميحة، الصناعتين الكتابة والشعر. دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان: ط1، 1401 هـ، 1986م، ص179.
38. محمد كريم الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. دار الكتب الوطنية/ بنغازي: ط1، 1426م، ص213.
39. سورة هود، الآية 44.
40. الإمام الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمد محمد شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة: ط3، 1413 هـ -1992م، ص 45، ص46.

41. هو محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، توفى سنة 538 هـ، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، من أشهر كتبه: (الكشاف، أساس البلاغة، مقدمة الأدب.. وغيرها). الأعلام للزركلي ج7/ ص178.

42. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص216، 217.

43. أحمد بن محمد بن الخطاب البستي، فقيه، محدث، من أهل بست من بلاد كابل ت 388 هـ، من كتبه: (بيان إعجاز القرآن، معالم السنن، تفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري...وغيرها). الأعلام للزركلي ج2/ ص273.

44. ينظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص244،ص245.

45. هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب، أبو هاشم، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، ت 321 هـ، وله مصنفات منها: (الشامل في الفقه، تذكرة العالم، العقدة" في أصول الفقه). الأعلام للزركلي ج4/ ص7.

46. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآني الكريم، مرجع سابق، ص247.

47.عُرِّف به سابقاً.

48. دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص391، ص392.

49. ينظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص261.

50. عرِّف به سابقاً.

51. ينظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص264.

52. هو محمد بن علي بن عبدالواحد الأنصاري، ولد بدمشق، توفي سنة 727 هـ. الأعلام للزركلي ج 6/ ص284.

53. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص 266، 267.

54. ينظر المرجع نفسه، ص293.

55. عرِّف به سابقاً.

56. عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل/ بيروت، مج1، 2/ 383.

57. عرِّف به سابقاً.

58. سورة التوبة، الآية 6.

59. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. ص117.

60. سورة الطور، الآية 33 – 34.
61. سورة هود، الآية 13.
62. سورة يونس، الآية 38.
63. سورة المائدة، الآية 1، 2.
64. سورة فصلت، الآية 16.
65. عائض القرني، معجزة القرآن. دار ابن حزم: بيروت– لبنان، طبعة 1430 هـ–2009م، ص 15– ص19.
66. من الآية 25.
67. الجُحفَة: بالضم ثم السكون ثم الفتحة، وهي قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة. معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي أبو عبدالله، الناشر: دار الفكر/ بيروت، ج 1/ ص475.
68. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر: 1984م،ج20/ ص61.
69. سورة الشعراء، من الآية 18.
70. سورة الشعراء، من الآية 19.
71. سورة النمل، الآية 7.
72. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص62.
73. الآيات من 1–6.[
74. محمد على الصابوني، صفوة التفاسير. دار الصابوني:ج2/ ص312.
75. أبوالطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري (ت1307 هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، حشاه: إبراهيم شمس الدين. منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1420 هـ–1999م، ج8/ص165.
76. ينظر صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج 2/ ص312.
77. هو ميمون بن قيس بن جندل، المعروف بأعشى قيس والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات (ت 7 هـ–629 م). الأعلام للزركلي ج 7/ ص 34.
78. ينظر ديوان الأعشى. دار صادر – بيروت: طبعة 1994م، ص106.

79. محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه. دار ابن كثير: دمشق_ بيروت، اليمامة: دمشق_ بيروت، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص/ سورية،ط10، 1430هـ، 2009م، ج5/ص570.

80. ينظر صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج2/ ص312.

81. ينظر صفوة التفاسير ، مرجع سابق، ج2/ ص312.

82. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250 هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الناشر: دار الفكر- بيروت، ج4 / ص159.

83. ينظر محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة. طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد: دمشق – بيروت، مؤسسة الإيمان: بيروت، ط1، 1411 هـ-1991م، المجلدات 10-19 -20.

84. ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر (ت 691 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر :بيروت،ج4/ ص283.

85. الآيات من 7 / 9.

86. ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن، مرجع سابق، ص167، ص168.

87. ينظر صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج 2 / ص 312.

88. عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي (ت 1376هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان. الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ- 2000م، ج1/ ص612.

89. ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مرجع سابق، ص 221-ص224.

90. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 64.

91. ينظر المرجع نفسه ص 66/ ص70.

92. إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين الدرويش، الجزء الخامس، الطبعة العاشرة 1430 هـ ، 2009 م ، دار ابن كثير: دمشق – بيروت ، اليمامة: دمشق – بيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية: حمص – سورية،ج5 /573.

93. ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص 225، ص226.

94. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 74، ص75.

95. صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج 2/ ص315.

96. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص76.
97. ينظر المرجع نفسه، ص78–ص79.
98. الآيات من 10– 12.
99. صفوة التفاسير، ج2/ ص312.
100. ينظر إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق،ج5/ ص573.
101. لسان العرب، مرجع سابق، مادة "رضع".
102. ينظر التفسير الكبير، مرجع سابق، ص 196، ص197.
103. ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مرجع سابق، ص226، ص227.
104. ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه، ص576 – ص578.
105. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1/ ص80.
106. صفوة التفاسير، ج 2/ ص 315.
107. ينظر الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، مرجع سابق، ص230.
108. ينظر تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص84.
109. الآيات من 13/ 15.
110. محمد بن عبدالرحمن الإيجي الشيرازي الشافعي (ت 905 هـ)، تحقيق عبدالحميد هنداوي، جامع البيان في تفسير القرآن، ومعه حاشية محمد الغزيوي(ت 1296 هـ). دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 2004م، مج3/ ص239/ ص241.
111. محمد أحمد بن جزئ الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل. دار الكتاب العربي: بيروت– لبنان، ط3، 1401 هـ–1981م، ج3/ ص103.
112. الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، مرجع سابق، ص234.
113. سورة البقرة، من الآية 5.
114. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص88، ص90.
115. ينظر صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص 315.
116. سورة يوسف، الآية 4
117. سورة التوبة، من الآية 36.
118. سورة البقرة، من الآية 60.
119. سورة الأعراف، من الآية 12.

120. سورة القصص، من الآية 28.

121. سورة التوبة، من الآية 124.

122. سورة مريم، من الآية 69.

123. هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العينى، العنزي، أبو إسحاق: شاعر مكثر سريع الخاطر، في شعره إبداع، توفي سنة (211 هـ-826 م). الأعلام للزركلي ج1/ ص321.

124. ينظر الجدول إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مرجع سابق، ص230، ص250.

125. ينظر التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص110.